البحث. من أنكر ذلك من المستشرقين فهو متجن على العلم! فليس توقف العقل عن حكم دليلاً على الاستحالة، لو قال ذلك لكان محققا وكان محقا وكان جامعا بين تحليل العالم العصري واعتقاد المؤمن القوي ولما ثار الناس به وثار هو كذلك بالناس (١) .

وذهب الشيخ محمد عرفة إلى أن طه حسين أخذ تلك الفكرة بل ذلك الكتاب من كتاب " ذيل مقالة في الإسلام " لمن سمى نفسه بهاشم العربي وهو من عمل بعض المبشرين الطاعنين في الإسلام وذكر بعض نقوله ص (٣٥) وذكر رحمه الله- رده على تلك الشبهة فمما قاله ودليله في نفي وجود إبراهيم وإسماعيل وبناءهما الكعبة وهجرتهما إلى مكة وتعلم إسماعيل العربية من العرب العاربة الذين هم من قحطان ودليله في ذلك أنه قد ثبت أن لغة قحطان أي لغة جنوب جزيرة العرب تخالف اللغة العربية التي تكلم بها أهل الحجاز فنسبتها إلى اللغة العربية كالنسبة بين اللغة العربية وبين أي لغة سامية ، فإذا كانت هذه القصة صحيحة وكان إسماعيل وبنوه قد تعلموا العربية من القحطانية فكيف بعد ما بين اللغة العربية العدنانية واللغة القحطانية لذلك أضطر إلى إنكار وجود إبراهيم وإسماعيل ..... وإن حدثنا القرآن والتوراة عنهما ونقول إن القرآن لم يعرض لحديث تعلم إسماعيل العربية من قحطان وإنما الذي عرض له وجودهما وهجرتهما وبناؤهما الكعبة وإنما الذي عرض لتعلم إسماعيل العربية من القحطانية هم مؤرخوا اللغة العربية ولو سلمنا جدلاً كل ما قاله من البعد بين القحطانية والعدنانية بعداً يجعلهما لغتين مستقلتين وأنه لو تعلم إسماعيل من القحطانية لكانت اللغتان متفقتين أو متقاربتين ولكن نقول له إن دليلك لا ينفي إلا أن إسماعيل تعلم اللغة العربية من القحطانيين وأما وجودهما وهجرتهما وبناؤهما الكعبة وهي الأمور التي عرض لها القرآن فلا ينفيها ولا تعرض لها فدليلك لا

---

١ - مجلة الشهاب السنة الثانية : ١٦،١٧ غرة محرم ١٣٦٧،١٩٤٩ .

ينفي إلا شيئاً واحداً وهو تعلم إسماعيل وبنيه العربية من القحطانية فمن الواجب أن يقتصر به على ذلك (١) .

ونحن إذ قرأنا ما رد به الإمام حسن البنا بهذا الأدب الجم وفضيلة الشيخ محمد عرفة بتلك الحكمة فنقول : إن د/ طه حسين استحق أكثر من ذلك فسلط الله عليه ليثا من ليوث الإسلام ألا وهو الأستاذ مصطفي صادق الرافعي فقد قال ..... ولننظر الآن في حماقة طه وتكاذيبه التي زعمها في القرآن ووقاحته العجيبة فيما يكتب جهلا بأساليب الكتابة وذوقها واسترسالا مع طبعه الأحمق السفيه يقول في صفحة (٢٦) للقرآن أن يحدثنا ...) فانظر هذه الوقاحة في قوله "للقرآن أن يحدثنا " كأنه زعم زاعم له ؟ أن يقول وألا يقول وإذا لم يكف النص في كتاب سماوي تدين به الأمة كلها لإثبات وجود المنصوص عليه فما بقي معنى لتصديقه وما بقي إلا أن يكون القرآن كما يزعم المستشرقون أساتذة طه حسين وأولياؤه كلام النبي(ﷺ) نفسه ومن نظمه وعمله كما نقل عن هذا الخرف المسمى " كليمار هواز ... (٢) .

هذا ولم يكن الدكتور طه حسين وحيدا في إشاعة تلك البلبة إن لم نقل الشبهات التي تزعزع المرتابين وتستهوي قلوب المنافقين أعداء الدين وتبهر عقول المستشرقين والكافرين نقول بل كان له شبيه ألا وهو " محمد أحمد خلف الله " الذي صنع ضجة باء باثمها فاستحق الرد والهجوم ونكتفي بذكر رد الأستاذ الشهيد حسن البنا فقد قال – رحمه الله– وهذا الكاتب الجديد صاحب رسالة (القصص الفني في القرآن) التي لم تظهر للناس بعد وإنما ظهر منها طرف تناولته الصحف على هذا النحو ، ولكن في واد أدبي متصل بالتاريخ فهو يريد

---

١ - نقض مطاعن في القرآن الكريم محمد أحمد عرفة : تصحيح الشيخ محمد رشيد رضا . مكتبة الزهراء ، ط ٢ ١٩٨٦ ، صـ ٩٠-٩٢ .

٢ - تحت راية القرآن : ١١٢ ، طبعة دار الإيمان الأولى ١٤١٧ ١٩٩٦ .

أن يقول إن رعاية الناحية الفنية عند الأديب المجرد لا تستلزم صدق الرواية ولا صحة الواقعة ، وهذا حق ، بل إن كثيرا مما يتجلى في رواية الوقائع الصادقة الحقة . بصرف النظر عما يقوله المربون ، وعلماء النفس في خطر هذا الأسلوب على التكوين الفكري والنفساني للأشخاص ثم هو يريد بعد هذا أن يجرد من نفسه أديبا بعيدا عن كل اعتبار آخر ، ويجرد من القرآن كتاب أدب بعيدا عن كل اعتبار آخر كذلك ، وينظر فيه على هذا الأسلوب بصرف النظر عن صدق هذه القصص و مطابقتها للواقع والتاريخ أو مخالفتها لذلك كله و لو قال إنه يتخذ هذا البث وسيلة إلى إثبات سمو الناحية الفنية في كتاب الله وعمقها وإنه كمؤمن بالقرآن الكريم يصدق بأن هذه الوقائع جميعاً لابد أن تكون حقائق تاريخية وذلك مما يزيد في روعة التصوير ودقة الفن ولا عجب فهو خلق الله الذي أتقن كل شئ (١) . لو قال هذا لاستراح وأراح ، ونفى عن نفسه وعن الذين يقرؤن له لوثات الزيغ والضلال وقل مثل ذلك في مثل هذه المناحي جميعا (٢) .

وبعد أن استعرضنا ردود العلماء على الدكتور محمد حسين فقد عنده أنه كتابا يحسب له سماه (مرآة الإسلام) وطبع هذا الكتاب سنة ١٩٥٩ ، وسئل عن أن يكون الغرض من تأليف هذا الكتاب التوبة والأوبة والاعتراف بقدسية القرآن فقد قال في هذا الكتاب : أما القرآن فهو المعجزة الكبرى التي اتخذها الله رسوله الكريم آية على صدقه فيما يبلغ عن ربه والقول في إعجاز القرآن يكثر ويطول وتختلف وجوهه وتختلف فنونه أيضاً فالقرآن كلام لم تسمع العرب مثله قبل أن يتلوه النبي . فهو في صورته الظاهرة ليس شعراً لأنه لم يجر في الأوزان والقوافي والخيال على ما جرى عليه الشعر . وذكر أن القرآن يختلف عن الشعر في موضوعاته وأثنى على موضوعات القرآن ثم قال كل هذا ، أكثر جدا من هذا يتحدث عنه القرآن إلى الناس على لسان رجل من قريش لم يعلم قط كتابة

---

١ – لو قال كلام الله الذي أتقن كل شيء لكان أجدر

٢ – مجلة الشهاب السنة الثانية: ١٧،١٨ غرة محرم ١٣٧٩ هـ ١٣٦٧ .

ولا قراءة ولا حساباً و لم يجلس قط إلى أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ولا أصحاب الفلسفة ، وإنما هو رجل عربي أمي كأكثر العرب . لا يعلم من أمر الدنيا إلا مثل ما كان أوساط العرب يعلمون . وهو مع ذلك يجادل اليهود في التوراة ويجادل النصارى في الإنجيل و يصفهم بأنهم يكذبون على موسى و يقولون على المسيح غير الحق و يحرفون ما عندهم من التوراة والإنجيل كل ذلك وهو لا يقرأ التوراة ولا الإنجيل وإنما ينبئه الله نبأ الحق بما في كليهما وهو لم يأت لنسخ التوراة ولا لنسخ الإنجيل وإنما جاء مصدقاً لما بين يديه منهما ومضيفاً إليهما ما أمره الله أن يضيف من العلم و الدين وأخذ يتحدث عن وجوه إعجاز القرآن بأسلوب طيب كما تحدث عن قصص القرآن فيصف أسلوبها فيقول:وربما يقص من أنباء الرسل فيمضي القصص في هدوء ومهل لأنه يتجه إلى إثارة التفكير و الاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل و الحذر من أن يجري عليهم مثله ثم يقص في سورة أخرى نفس الأنباء فتقصر الآيات وتسرع وتتسق الفواصل وتنسجم وتتكرر عبارات بعينها في آخر كل قصة لا يجدون منها بالسامعين والقارئين وإعجابهم عن التفكر والتدبر كأنما أخذلهم من مكان ريح عاصفة لا يجدون منها مهربا ولا يرون لأنفسهم عنها منصرفا . فهي تصب عليهم العبر والعظات والمثلات صبا أو كأنهم يمطرون من السماء صخورا متتابعة فهم لا يملكون إلا أن يذعنوا لما يصب عليهم لا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجع الجواب أو الجدال في بعض ما يصب عليهم.

وبعد أن تحدث عن أسرار قصة نوح عليه السلام قال:و هنا تنتهي قصة نوح في هذه السورة الكريمة-يعني سورة هود-و ينبئ الله نبيه بأن أحداث هذه القصة إنما هي بالقياس إليه و إلى قومه من الغيب لم يعلمها النبي ولم تعلمها قريش إلا بعد أن أوحيت إليه في هذه الآيات ... ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا

إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ من أهود : ٤٩ .

ثم قارن بين القصة في سورة هود وفي سورة الشعراء :

ثم قال : وتنتهي السورة بتثبيت النبي (ﷺ) بكل ما قص عليه في السورة وتخويف الذين لا يصدقونه من المشركين وإعلان أن الله مستأثر بغيب السماوات والأرض و أن مصير كل شئ وكل إنسان إليه (١) وختم الموضوع عن القرآن بقوله : وإعجاز القرآن شئ يشعر به القلب وتمتلئ به النفس و يذعن له الضمير ويعجز عن وصفه القلب واللسان (٢) . وبعد فلعل الدكتور طه حسين – رحمه الله– قد رجع عما قاله في كتابه المذكور آنفاً ولعل الله تاب عليه .وحقاً ليتنا إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا . فما حدث له من كتابه وما قيل عنه في كثير من الردود علي إبان صدور كتابه أو بعده أو حتى الآن أمر ليس بالهين بل حُكم عليه بالكفر . أمّا نحن فنمسك عن الكلام ونكل أمر الرجل إلى ربه الذي يعلم السر وأخفى ، ونحسن الظن بكتاباته الأخيرة وبماذا ينفعنا الحكم عليه بالكفر والضلال ؟ ونقول لمن يبحث عن شبهة تصغي لها قلوب الزائغين إن سيدكم الذين تتشرون كتبه التي تستهويكم قد رجع – كما هو الظاهر –عن كتاباته و آب إلى فطرته وها هو كتابه (مرآة الإسلام) بين أيديكم .إن أردتم الحق و إن أردتم الفتنة فالله حسبنا و نعم الوكيل.

مثال لما أنكروا وجوده مما ذكره القرآن الكريم : شخصية هامان

فقد ادعوا أن هامان شخص لا حقيقة لوجوده لأن التاريخ لم يثبته وإن كان قد نطق به القرآن يقول فضيلة الأستاذ الدكتور :سيد أحمد المسير:وكان الواجب

---

١ – مرآة الإسلام صـ١٧١-١٨٢ .

٢ – مرآة الإسلام صـ١٩٤ .

ولابد أن هامان شخص له وجود وحقيقة لأن القرآن ذكره وإن لم يثبته التاريخ (١) . ونقول أين هذا التاريخ الذي نعرفه عن الفراعنة وكل يوم يكتشف ما لم نكن نعلمه و كلما اكتشفت آثار كلما عظم جهلنا بتاريخهم إنها قرون كثيرة لا يعلمها إلا الله. ثم نرد كيد هؤلاء في نحورهم فنقول : إن هامان هو كبير كهنة آمون وكان الفراعنة يلقبون بـــ(مرى آمون) أي حبيب آمون و(مى آمون) الذي هو (كآمون) لقب بهما رمسيس الثاني لذا فقد يكون (هامان) لقبا دالاً على المنصب . وكلمة آمون كانت تكتب بالهيروغلفية (آمن) مهملة بحركة المد وصحة نطق الكلمة تأتي من نص بابلي كتب حوالي عام (١٢٨٠ ق.م) في معاهدة بين خاتوا سيلاس ملك خاتى (الحيثيين) وبين رمسيس الثاني ملك مصر كتبوا لقبه (مي ــ آمون) كتبوا (مى ــ آمان) مدا بالألف لا بالواو كما نطقها علماء تلك اللغة فلغة الحيثيين عرفتنا نطق الكلمة. أما الهاء في هامان فهي بمعنى (الكوة) فمعناه أي النافذة إلى آمون أو (المدنف إلى آمون) وهو لقب لكبير الكهنة .وقد يكون هامان) عربي بمعنى عظيم الهامة فقد يكون اسم كبير كهنة آمون على عصر فرعون بمعنى ترجمته العربية عظيم الهامة على النحت فيكون (هامان). ونقول لو أن القرآن يخترع الأسماء فما هو الداعي لهذا الاختراع إلا لعلمه بمثل تلك المكانة التي لهامان فلكم القرآن كتاب رب العالمين تحدى به العالمين فلا يجرؤ أحد أن ينفي ما أثبته القرآن أو يثبت ما نافاه القرآن و إن أصر على أن يثبت شيئاً ما فليثبت جلال القرآن وعظمته (٢) .

٦ ـ ومنها التكرار:

إن دعوى التكرار – أي عدم الفائدة منه – في القرآن تتلاشى عند استماع الاستماع لكلام الله بآذان صاغية وقلوب واعية وعقول سامية وحسبك أن الإمام

---

١ – * الشبهة والرد عليها في كتابه دراسات قرآنية صـــ٣٠ تحقيق أ.د/ محمد سيد أحمد المسير ط الأولى ١٤١٣،١٩٩٣ .

٢ – من إعجاز القرآن (العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن)١/٥٨-٦٤ .

الدكتور / محمد عبد الله دراز بشفافية قلبه المتناهية ذهب إلى أنه لا يقال إن في القرآن إطنابا بل هو الإيجاز والإيجاز فحسب حيث قال رحمه الله إن القرآن يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني . أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب ، لذلك نسميها إيجاز كله (١) .

لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى (٢) . فتأمل هذا الاتجاه وتلك الرؤية التي يذهب صاحبها إلى قوله بأن القرآن كله إيجاز فحسب ألا يتناقض هذا الشعور الفياض مع تلك الكلمة التي تخرج بلا أساس من يزعم بأن في القرآن تكرارا دع عنك القول بأن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة وأن القرآن يكرر القصة لأجل طول هذه المدة لأن القرآن الآن بين دفتيه يستطيع المرء أن يقرأه في ثلاثة أيام فإن كان ما لا يُحسّ بتكراره في ثلاث وعشرين سنة فقد يشعر به ما يقرأه في أسبوع أو في شهر مثلا .....

اضربنا صفحا عن هذا الكلام لأن هذا التكرار يستدعيه المقام إبان نزول القرآن وحتى الآن . أن تذكر القصة في أكثر من سورة إنما لغرض من الأغراض التي سيقت لها تلك السورة كما أن السياق يحتم ذكر القصة في مكانها إنه تنزيل من الحكيم العليم. بل نقول إن الشهيد سيد قطب جعل من آثار خضوع القصة للغرض الديني جعل أول أثر لهذا الخضوع هو أن ترد القصة الواحدة في

---

١ - لا يخفى أن هذا اصطلاحه هو رحمه الله ولا مشاحة في الاصطلاح ولكننا نختار أن في القرآن إطنابا كما أن فيه إيجازا ولكل غرضه .

٢ - النبأ العظيم ، ١٣١ .

معظم الحالات مكررة في مواضع شتى ويستدرك قائلا ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها – غالبا – إنما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها ،أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادرا ولمناسبات خاصة في السياق ..... ثم ضرب رحمه الله مثالا على ذلك بقصة موسى عليه السلام حيث قد ذكرت أكثر من ثلاثين مرة فأفاد وأجاد رحمه الله تعالى ([1]) .

ومن الأغراض الداعية للتكرار التفنن في عرض القصة الواحدة بأسلوب مختلف دون خلل في عرضها أو دون ملل في تلقيها بل بشغف في طلبها حيث فيها نقل الكلام من أسلوب لأسلوب وكما قال النيسابوري "إن هذا أقرب إلى انشراح الصدور ودفع الملال ([2]) .

قال الإمام ابن جماعة :إن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة و أساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة أن الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا ([3]) . كما أن التكرار القصة الواحدة أكثر من عشر مرات يدل على شدة عجز العرب عن الإتيان ولو بصورة واحدة من تلك الصور التي عرضها القرآن للقصة الواحدة بصور كثير فهذا لعمرك أبلغ في الإعجاز وأشد عليهم في التحدي... ([4]) والقصة لمّا كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج الأمر الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعهم لما جبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة و استلذاذها بها

---

١ – التصوير الفني : ١٥٥ ، ١٥٦ .

٢ – غرائب القرآن : ١٠٤/١١ .

٣ – معترك الأقران ١/ ٢٦٣ .

٤ – إعجاز القرآن للرافعي١٥٥ ، ٢٥٦(بتصرف)

وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع ذلك التكرير فيه –هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه ؛ فباين بذلك كلام المخلوقين فهذا تصريف القول وجه من وجوه البيان القرآني (١) .

وقال الشيخ محمد الغزالي وأذكر أن العقاد قال : إن الصور تختلف للمكان الواحد عندما يتم التقاطها من زوايا مختلفة . فصورة القاهرة من الجو غير صورتها من المقطم غير صورتها من النيل غير صورتها من الأهرام !القاهرة هي القاهرة و ما يراد إبرازه هنا غير ما يراد إبرازه هناك (٢) . قال الزركشي وفائدته العظمى –أي التكرار– التقرير وقد قيل : الكلام إذا تكرر تقرر (٣) .

عصمة الأنبياء :

قال الإمام عضد الدين الإيجي والإمام السيد الشريف الجرجاني : إن الأمة أجمعت على عصمة الأنبياء من الكفر قبل النبوة وبعدها ، غير أن الأزارقة من الخوارج جوّزوا عليهم الذنب ، وكل ذنب عندهم كفر ، فلزمهم تجويز الكفر. وجوّز الشيعة إظهار الكفر تقية عند خوف الهلاك ، واحترازا عن إلقاء النفس في التهلكة. و أمّا غير الكفر فإمّا كبائر أو صغائر وكل منهما إمّا أن يصدر عمدا و إمّا أن يصدر سهواً و الأنبياء في زمان نبوتهم معصومون عن الكبائر مطلقاً وعن الصغائر عمداً (٤) . وقال سعد الدين التفتازاني : الصغائر تجوز عمداً عند الجمهور خلافاً للجبائي واتباعه وتجوز سهواً بالاتفاق إلا ما دل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين اشترطوا أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية فما كان منقولاً

---

١ – معترك الاقران ١/٢٦٤ .

٢ – المحاور الخمسة في القرآن الكريم صـ٩٧ دار الصحوة الأولى ١٩٨٩ .

٣ – البرهان في علوم القرآن ٣/١٠ .

٤ – المواقف و شرحها ٨/٢٦٣-٢٦٦ بتصرف – طبعة السعادة (١٣٢٥ – ١٩٠٧) .

بطريق الآحاد فمردود . وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة (١) .

وحقيقة عصمة الأنبياء هي نزاهتهم وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب وحجة للسفهاء على انتهاك حرمات الشرع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشري (٢) . أمّا ما احتج به من جوز المعاصي على الأنبياء من قصص وأخبار أو أحاديث و آثار توهم صدور الذنب عنهم في زمان النبوة فالجواب عن ذلك : أن تلك القصص -إجمالاً- أن ما كان منها منقولاً بالآحاد وجب ردها لان نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء . وما ثبت منها تواتراً فما دام له محمل آخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة . وما لم نجد له محيصا حملناه على أنه كان قبل البعثة أو كان من قبيل ترك الأولى أو الصغائر الصادرة سهواً.

أمّا تسميته ذنباً نحوقوله تعالى (ما تقدم من ذنبك) (٣) و (واستغفر لذنبك وللمؤمنين) (٤) . والاعتراف بكونه ظلماً منهم كما في قصة آدم-عليه السلام فلعل ذلك المذكور من التسمية والاستغفار والاعتراف لعظمه عنهم أو عندهم كما قيل "حسنات الأبرار سيئات المقربين" أو قصدوا بها هضماً من أنفسهم (٥) قال تعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾ قال القاضي معني قوله : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ... ﴾ (٦) الآية

---

١ - شرح العقائد النسفية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد المكتبة الأزهرية للتراث ص (١٢٧ ، ١٢٨) .

٢ - محاسن التأويل للقاسمي :٩/٣٥٣٠ .

٣ - الفتح : ٢ .

٤ - محمد : ١٩ .

٥ - المواقف و شرحها ٨ / ٢٦٧ - ٢٦٨ بتصرف .

٦ - الإسراء : ٧٤ .

إنك كنت علي صدد الركون إليهم لقوة خداعهم وشدة احتياجهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركوب فضلا عن أن تركن إليهم وهو صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما هم بمجالستهم مع قوة الداعي إليها ودليل علي أن العصمة بتوفيق الله وحفظه (١) .

(واستغفر لذنبك للمؤمنين) (٢) قال الشهاب : وإنما أعيد الجار لأن ذنوبهم جنس آخر غير ذنب النبي (ﷺ) فإن ذنوبهم معاص كبائر وصغائر وذنبه ترك الأولي قال السيوطي: استدل بالآية من أجاز الصغائر علي الأنبياء .

وفي الصحيح أن رسول الله (ﷺ) كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاياي وعمدي وكل ذلك عندي (٣) وفي الصحيح أنه كان يقول في آخر الصلاة : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله إلا أنت (٤) وفي الصحيح أنه قال : أيها الناس ! توبوا إلي ربكم فإني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة (٥) ، (٦) و قال ابن حزم رحمه الله : أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز البتة أن يقع من نبي معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهذا

---

١ – محاسن التأويل للقاسمي : ١٠/ ٣٩٥٦ ــ البيضاوي ٥٧٨/١ .

٢ – سورة محمد : ١٩ .

٣ – البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي صلي الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ١٩٩/١١ .

٤ – أبو داود كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل إذا سلم ٢٢ / ٨٤ – ١٢٩٠ .

٥ – البخاري كتاب الدعوات باب استغفار النبي صلي الله عليه وسلم بلفظ والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ١٠٤/١١ .

٦ – محاسن التأويل للقاسمي ١٥ / ٥٣٨٣ ، ٥٣٨٤ .

الذي ندين الله تعالى به ولا يحل لأحد أن يدين بسواه ونقول إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقرهم على شئ من هذين الوجهين أصلاً بل ينبههم على ذلك ...(١) وذهب الإمام تقي الدين السبكي – رحمه الله– إلى امتناع المعاصي صغيرها وكبيرها،عمدها وسهوها، على الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وبعدها كما نص عليه في تفسير سورة الزمر (٢)

عصمة الأنبياء من الشرك :

١ ـ عصمة سيدنا آدم مما نسب إليه من الشرك :

مما يتشبث من فهم سقيم عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها..الآيتين** ﴾ (٣) .

قال الإمام جمال الدين القاسمي عقب تفسيرهما : وقد ذكر المفسرون هاهنا أحاديث وآثاراً تفهم أن المراد بهذا السياق آدم وحواء ولا حاجة بنا إلى روايتها لأنها واهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في (تفسيره) .وتقبل ثلة من السلف لها وتلقيها ــ لا يجدي في صحتها شيئا إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مسلمة أهل الكتاب كما برهن عليه ابن كثير وتهويل بعضهم بأنها مقتبسة من مشكاة النبوية إذا أخرجها فلان وفلان من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني فان المشكاة النبوية أجل من أن يقتبس منها إلا كل ما عرفت جودته إذا

---

١ – الفصل ٤ / ٢٩ ، ٣٠ .

٢ – طبقات الشافعية الكبرى ١٠/٢٥٧ .

٣ – الأعراف : ١٨٩،١٩٠ .

علمت ذلك تبين لك أن ما استند إلى تلك الأحاديث والآثار فذهب إلى أن المراد بالنفس الواحدة وقرينتها آدم وحواء ثم أورد على نفسه أنهما بريئان من الشرك وأن ظاهر النظم يقتضيه ثم أخذ يؤوله إما بتقدير مضاف. أي: جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهما وإما بأن المراد جعل أحدهما وهو (حواء) من إطلاق المثنى وإرادة المفرد وإما بغير ذلك ــ فإنه ذهب في غير مذهب وقد قرر ما ارتضيناه في معنى الآية غير واحد. قال الحسن البصري فيما روى عنه ابن جرير: إن الآية عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده وفي رواية عنه كان هذا في بعض الملل ولم يكن بآدم .قال ابن كثير والأسانيد إلى الحسن في تفسير هذا صحيحة وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية (١) .

٢ ـ عصمة سيدنا إبراهيم مما نسب إليه من الشرك :

ومما يوهم نسبة الشرك إليه قوله تعالى : ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين...إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**﴾ (٢) .

قيل : كان ذلك في حال الطفولة ، قبل استحكام النظر في معرفة الله تعالى لقوله : ﴿ **لئن لم يهدني ربي ...**﴾ الخ (٣) . وهذا غير صحيح بل هو خلاف الظاهر و يأباه السياق و السباق واللحاق فالسباق يدل على أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه ملكوت السماوات و الأرض بدليل فاء التعقيب في قوله (فلما جن) وبدليل قوله (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل) أي أول زمان الفطرة واللحاق لقوله : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه** ﴾ ولم يقل على نفسه . وسياق الآية يدل على ذلك قال العلامة الألوسي : قال المحققون المحقون :إنه لا يجوز

---

١ – محاسن التأويل للقاسمي : ٧/٢٩٢١

٢ – الأنعام :٧٤–٧٩ .

٣ – المواقف وشرحها صـ٢٧٠ .

أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه برئ (١) .

١- قيل : إن المتكلم بهذا آزر ، وإنه لما قال ذلك ، قال إبراهيم لا أحب الآفلين .

٢- وقيل : بعد بلوغه وتكريمه بالرسالة ، إلا أنه أراد الاستفهام الإنكاري ، توبيخا لقومه ، فحذف الهمزة ومثله كثير .

٣ - وقيل : على إضمار القول أي : يقولون هذا ربي ،وإضمار القول كثير .

٤- وقيل : المعني في زعمكم واعتقادكم .فهو على سبيل الفرض (٢) .

٥ - وقيل : إنه علي سبيل الاستهزاء .

٦ - والراجح أن قوله : (هذا ربي) من باب استعمال النصفة مع الخصوم ،علي سبيل الوضع ،وهو سوق مقدمة في الدليل لا يعتقدها ،لكونها مسلمة عند غيره ،لأجل إلزامه بها . وهو مصطلح أهل الجدل . وقد اقتصر الزمخشري عليه . قال الناصر في (الانتصاف) : وصدق الزمخشري وذلك متعين . وقد ورد في الحديث الوارد في الشفاعة أنهم يأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،فيلتمسون منه الشفاعة ، فيقول : نفسي ! نفسي ! ويذكر كذباته الثلاث ، ويقول : لست لها (٣) ، يريد قوله لسارة هي أختي ، وإنما عني : في الإسلام

---

١ - النيسابوري ١٧٥/٧ روح المعاني ٩٩/٧، الرازي ٣٩٢/٦-٣٩٧ .

٢ - المواقف وشرحها صـ٢٧٠ ، الرازي ٦ /٣٩٥ .

٣ - البخاري كتاب التوحيد بأب قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٤٣٠٠/١٣ .

وقوله : إنه سقيم ، وإنما عني همه بقومه وبشركهم والمؤمن يسقمه ذلك – وقوله (بل فعلهم كبيرهم) ،ولقد ذكرت فيه وجوه من التعريض .فإذا عد صلوات الله عليه وسلامه علي نفسه هذه الكلمات ،مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها ،دل ذلك علي أنها أعظم ما صدر منه .فلو كان الأمر علي ما يقال ،من أن هذا الكلام محكي عنه علي انه نظره لنفسه ، لكان أولي أن يعده ، وأعظم ،مما ذكرناه . لأنه حينئذ يكون شكا ،بل جزما .علي أن الصحيح أن الأنبياء قبل النبوة معصومون من ذلك (١) .

وقال ابن كثير : والحق أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه ،مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام ، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صورة الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق وغير ذلك مما يحتاجون إليه وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة . وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم :الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين أولاً صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه ولا تملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال وهذه لا تصلح للإلهية.ثم بين في القمر ما بين النجم ثم الشمس كذلك فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع تبرأ من عبادتهن و موالاتهن و أخبر بأنه يعبد خالقهن و مسخرهن ثم قال ابن كثير : و كيف يجوز أن يكون ناظرا في هذا المقام و هو الذي قال الله في حقه ﴿ ولقد

---

١ – الكشاف وعليه الانتصاف ٢/٣١ .

آتينا إبراهيم رشده من قبل و كنا به عالمين .إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » (١) و قال تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه و هداه إلى صراط مستقيم) (٢) . وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مولود يولد علي الفطرة (٣) . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن رسول الله (ﷺ) قال :قال الله تعالي : إني خلقت عبادي حنفاء . وقال تعالي (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال تعالي « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي » (٤) ومعناه علي ، أحد القولين ،كقوله (فطرة الله التي فطر الناس عليها). فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ،فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله (أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) ناظرا في هذا المقام ؟ بل هو أولي الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة ، بعد رسول الله (ﷺ)، بلا شك ولا ريب ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك . لا ناظرا ، قوله تعالي (وحاجه قومه...) الآية الآتية .

وقال السبكي : تعليم منه سبحانه لإبراهيم طريق الحجة على قومه فأراه ملكوت السموات والأرض ، وعلمه كيف يحاجهم ويقول لهم إذا حاجهم في مقام بعد مقام إلى أن يقطعهم بالحجة ولا يحتاج مع هذا إلى أن يقال ألف الاستفهام محذوفة ويؤخذ منه أن القول على سبيل التنزل ، وليس اعترافا وتسليما مطلقا وقولنا على سبيل التنزل معناه أن الخصم ينطق به لينظر ما يترتب عليه ، وهذا الذي فهمت أقرب ما قيل فيها ويرشد إليه صدر الآية وعجزها أي قوله وكذلك

---

١ - الأنبياء :٥١-٥٢

٢ - النحل:١٢٠-١٢١

٣ - البخاري- كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ ٣ / ٢٥٨ .

٤ مسلم: كتاب الجنة:باب الصفات التى يعرف بها أهل الدنيا في الجنة وأهل النار١٧/ ١٩٧

وما تعملون) . ولما كان أبوه آزر هو أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ورعاية الإضافات النجومية فيها حق الرعاية ، ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام ، لا من غيره ، كان أكثر الحجج معه ، وأقوي الإلزامات عليه (إذ قال لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا** ﴾ (١) . لأنك جهدت كل الجهد ، واستعملت كل العلم ، حتى عملت أصناما في مقابلة الأجرام السماوية فما بلغت قوتك العلمية والعملية إلي أن تُحدث فيها سمعا وبصرا ، وأن تغني عنك ، وتضر وتنفع ، وإنك بفطرتك وخلقتك أشرف درجة منها ، لأنك خلقت سميعا بصيرا ضارا نافعا . والآثار السماوية فيك أظهر منها في هذا المتخذ تكلفا ، والمعمول تصنعا ،فيالها من حيرة ، إذ صار المصنوع بيدك معبودا لك ، والصانع أشرف من المصنوع . (يا أبت لا تعبد الشيطان) (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا * قال أراغب أنت عن ءالهتي يا إبراهيم) (٢) فلم يقبل حجته القوية ، فعدل عليه الصلاة والسلام إلي الكسر بالفعل ، (فجعلهم جذاذا ، إلا كبيرا لهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون *فرجعوا إلي أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا علي رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) (٣) فأفحمهم بالفعل حيث أحال الفعل علي كبيرهم ، كما أفحم بالقول ،حيث أحال الفعل منهم ،وكل ذلك علي طريق الإلزام عليهم ، وإلا فما كان الخليل كاذبا قط . ثم عدل إلي كسر مذاهب أصحاب الهياكل كما أراه الله تعالي الحجة علي قومه ، وقال (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) فأطلعه علي ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له علي الروحانيات وهيا كلها ،وترجيحا لمذهب الحنفاء علي مذهب الصابئة ، وتقريرا

---

١ - سورة مريم ٤٢ .

٢ - سورة مريم ٤٤-٤٦ .

٣ - سورة الأنبياء٦٣-٦٥ .

أن الكمال في الرجال ، فأقبل علي إبطال مذهب أصحاب الهياكل (فلما جن عليه الليل رأي كوكبا قال هذا ربي) علي ميزان إلزامه علي أصحاب الأصنام (بل فعله كبيرهم هذا) وإلا فما كان الخليل كاذبا في هذا القول ، ولا مشركا في تلك الإشارة .ثم استدل بالأفول والزوال والتغير والانتقال ، بأنه لا يصلح أن يكون ربا وإلها ،فإن الإله القديم لا يغير ،وإذا تغير فاحتاج إلي مغير ، وهذا لو اعتقدتموه ربا قديما وإلها أزليا ، ولو اعتقدتموه واسطة وقبلة وشفيعا ووسيلة ، فالأفول والزوال أيضا ، يخرجه عن الكمال . وعن هذا ما استدل عليهم بالطلوع، وإن كان الطلوع أقرب إلي الحدوث من الأفول فإنهم إنما انتقلوا إلي عمل الأشخاص ، لما عراهم من التحير بالأفول ، فأتاهم الخليل عليه الصلاة والسلام من حيث تحيرهم ،فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته . وذلك أبلغ في الاحتجاج . ثم (لما رأي القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) فيعجبا!! من لا يعرف رباً كيف يقول (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) ؟ رؤية الهداية من الرب تعالي غاية التوحيد ، ونهاية المعرفة ، والواصل إلي الغاية والنهاية ،كيف يكون في مدارج البداية ؟ دع هذا كله خلف قاف ، وارجع بنا إلي ما هو شاف كاف . فإن الموافقة في العبارة علي طريق الإلزام علي الخصم من أبلغ الحجج ، وأوضح المناهج .وعن هذا قال (فلما رأي الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) لاعتقاد القوم أن الشمس ملك الفلك ، وهو رب الأرباب الذي يقتبسون منه الأنوار ، ويقبلون منه الآثار (فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) قرر مذهب الحنفاء ، وأبطل مذهب الصابئة ، وبين أن الفطرة هي الحنيفية ، وأن الطهارة فيها، وان الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها وأن النجاة والخلاص متعلقة بها وأن الشرائع والأحكام مشارع ومناهج إليها وأن الأنبياء والرسل مبعوثة لتقريرها وتقديرها

وأن الفاتحة والخاتمة والمبدأ والكمال منوطة بتلخيصها وتحريرها ذلك الدين القيم والصراط المستقيم والمنهج الواضح والمسلك اللائح (١) .

٢ ـ عصمة نبي الله شعيب عليه السلام :ـ

مما يوهم نسبة الشرك إليه قوله تعالى ﴿ **قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها و ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾ (٢) (قد افترينا على الله كذبا) آي اختلقنا عليه باطلا بأن له شريكا (إن عدنا) إلى ترك دعوى الرسالة و الإقرار بها لندخل (في ملتكم) القائلة بأن له شريكا (بعد إذ نجانا الله منها) فأرانا أنه كالإنجاء من النار (و ما يكون) أي ينبغي (لنا أن نعود) أي عن دعوى الرسالة و الإقرار بها فنصير (فيها إلا أن يشاء الله ربنا) أي الذي يربينا بما علم من استعدادنا ؛ لأنه (وسع ربنا كل شئ علما) أي فعلم استعداد كل واحد في كل وقت لكن (على الله توكلنا) أي ليحفظنا عن المصير إليها (ربنا) إن قصدوا إكراهنا عليها أو إخراجنا من قريتهم (افتح بيننا و بين قومنا بالحق) فغلبنا عليهم (وأنت خير الفاتحين) أي خير الحاكمين فلا تغلب الظالمين وإن كثروا على المظلومين إذا استفتحوك .

الأول : اعلم أن ظاهر قوله تعالى (أو لتعودن في ملتنا) وقوله (بعد إذ نجانا الله منها) يدل على أن شعيبا عليه السلام كان على ملتهم قبل بعثته للعلماء في هذه الآية وجوه :

---

١ – الملل والنحل للشهرستاني ٤/١٠-١٩ تفسير محاسن التأويل ٦/ ٢٣٧٦ -٢٣٨٤ ، المواقف وشرحها ٨/٢٧٠ .

٢ – الأعراف : ٨٩ .

١ – منها : أن العود المقابل للخروج ، هو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها. والجار والمجرور حال . أي ليكن منكم الخروج من قريتنا ، أو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها ، داخلين في ملتنا .وهذا الوجه اقتصر عليه المهايمي ، وسايره فيه القاسمي في تفسير تتمة الآية .

٢ – ومنها : أن العود المذكور إلى ما خرج منه و هو القرية و المجرور حال كالسابق أي ليكن منكم الخروج من قريتنا أو العود إليها كائنين في ملتنا وعُدى (عاد) ب (في) كأن الملة لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم قال الألوسي : ولا يخفى بعده (١) .

٣ – ومنها : أن هذا القول جار على ظنهم أنه كان في ملتهم لسكوته قبل البعثة عن الإنكار عليهم،قال الطاهر ابن عاشور : وجعلوا موافقة شعيب إياهم على الكفر عوداً لأنهم يحسبون شعيباً كان على دينهم ، حيث لم يكونوا يعلمون منه ما يخلف ذلك ،... وشأن الذين أرادهم الله للنبوة أن يكونوا غير مشاركين لأهل الضلال من قومهم ولكنهم يكونون قبل أن يوحى إليهم في حالة خلو عن الإيمان حتى يهديهم الله إليه تدريجاً ، وقومهم لا يعلمون باطنهم فلا حيرة في تسمية قومه موافقته إياهم عوداً (٢) . قلت : قوله : موافقته إياهم غير مسلم فهو لم يكن موافقاً لهم غاية الأمر أنه سكت عنهم قبل الرسالة حيث لم يؤمر بشيء بعد .

٤ – ومنها : أنه صدر عن رؤسائهم تلبيسا على الناس وإيهاما لأنه كان على دينهم وما صدر عن شعيب عليه السلام كان على طريق المشاكلة (٣) .

---

١ – روح المعاني ٣/٩

٢ – التحرير و التنوير ٦/٩ ونحوه روح المعاني ٣/٩/٩

٣ – حاشية الشهاب١٩٠/٢ ونحوه روح المعاني ٣/٩/٩

٥ – ومنها أن (لتعودن) بمعنى لتصيرن إذ كثيراً ما يرد (عاد) بمعني (صار) ، فيعمل عمل (كان) . ولا يستدعي الرجوع إلي حالة سابقة ،بل عكس ذلك ،وهو الانتقال من حال سابقة ، إلي حال مؤتنفة مثل (صار) . وكأنهم قالوا – والله أعلم – لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ،أو لتصيرن كفارا مثلنا . فقد قال الرازي:تقول العرب . قد عاد إلي من فلان مكروه ، يريدون :قد صار إلي منه المكروه ابتداء .قال الشاعر :

فإن تكن الأيام أحسن مدة إلي فقد عادت لهن ذنوب

أراد:فقد صارت لهن ذنوب ،ولم يرد أن ذنوبا كانت لهن قبل الإحسان (١)

ومنه حديث معاذ . قال له النبي (ﷺ): (أعدت فتانا يا معاذ ؟) .أي صرت .ومنه حديث خزيمة : عاد لها النقاد مجرنثما (٢) . أي صار .

وفي حديث كعب : وددت أن هذا اللين يعود قطرانا ، أي يصير . فقيل له : لم ذلك ؟ قال .تتبعت قريش أذناب الإبل ،وتركوا الجماعات (٣)

قال الشهاب : إلا أنه قيل إنه لا يلائم قوله : ﴿ بعد إذ نجانا الله منها ﴾ إلا أن يقال بالتغليب فيه ، أو يقال : النتيجة لا يلزم أن تكون بعد الوقوع

---

١ – الرازي ٦ / ١٩٨ .

٢ – في اللسان في مادة (ج ر ث م) : النقاد : صغار الغنم . ومجرنثما : مجتمعاً منقبضا ، وإنما اجتمعت في الجدب لأنها لم تجد مرعي تنتشر فيه . وإنما لم يقل (مجرنثمة) لأن لفظ (النقاد) لفظ الاسم الواحد كالحذار والخمار •

٣ – هذه الآثار الثلاثة استشهد بها في اللسان نقلاً عن النهاية في مادة (عود) •(النهاية في غريب الحديث ٣١٦/٣ ،اللسان ٥٨٥/١)

في المكروه .ألا ترى إلي قوله (فأنجيناه وأهله) (١) وأمثاله ؟ وقال الألوسي عن هذا القول وهو حسن (٢) .

٦ – ومنها :أن العود يطلق ،ويراد به الابتداء .حققه الراغب والجاربردي وغير واحد .وانشدوا قول الشاعر :

*وعاد الرأس مني كالثغام (٣)

ومعني الآية :لتدخلن في ملتنا ، وقوله تعالي (إن عدنا) أي دخلنا – كذا في تاج العروس (٤) .

٧ – ومنها :إبقاء صيغة العود على ظاهرها من استدعائها رجوع العائد إلى حال كان عليها قبل . كما يقال : عاد له بعد ما كان أعرض عنه إلا أن الكلام من باب التغليب قال الزمخشري : لما قالوا (لنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك) فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم – قالوا (لتعودن) فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا إجراءً للكلام على حكم التغليب و على ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال(إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراءً لكلامه على حكم التغليب (٥) – انتهى – .

---

١ – الأعراف ٨٣

٢ – روح المعاني ٣/٩

٣ – في اللسان : الثغام نبت علي شكل الحلي ، وهو أغلظ منه ، وأجل عودا، يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس ، وله سنمة غليظة . ولا ينبت إلا في قنة سوداء ، وهو ينبت بنجد وتهامة . (اللسان ٤٨٧/١)

٤ – النيسابوري ٦/٩

٥ – الكشاف ٩٦/٢ و البيضاوي ١٩٠/٢ .